

ثقافة المرأة

للأنسة اسماء فهمي

درجة شرف في الاداب

مايتلقى الفتى في المدارس الابتدائية والثانوية، كما أصبحت تدرس معه جنباً الى جنب في الجامعات .

وبالرغم من ان مصر لم تبنت ذلك النظام، وإنما نسجت فيه على منوال الأمم الرقية التي تأخذ عنها جل نظم الحضارة والعمران، فإن ذلك الانتقال لم يتقبله الكثيرون قولا حسناً بعد، لأنهم يرون فيه ضياعاً لوقت الفتاة التي خلقت لأن تكون أما، زاعمين ان سيكولوجية المرأة او تركيبها النفسى، ووظيفتها في الحياة تستدعيان اعداداً خاصاً وتعليماً غير تعليم الرجل .

ويظهر ان انصار هذا المبدأ لهم تفسير خاص، لا غرض التعليم ومعنى الثقافة ! أما ما يفهم عادة من الثقافة فهو كل ما من شأنه تهذيب النفس وصقل العقل وتقويم العاطفة وتوسيع المدارك . وعلى ذلك يدخل تحت الثقافة الدلوم بأنواعها والفنون والآداب والاخلاق، وكل ما يكتسب المرء من تجارب وتعليم عملي في الحياة . ولما كان هذا النوع من الغذاء العقلي والروحي لا يستغنى عنه الانسان الذى يصبو الى الكمال، وكانت المرأة انساناً لا تختلف عن الرجل من هذه الناحية ، فلا بد لها من غذاء عقلي ومعنوي أيضاً، ولما كان التكافؤ العقلي بين الجنسين اصبح من الامور المسلم بها، وجب اذن ان يتغذى عقل المرأة كما يتغذى عقل الرجل حتى تصل الى حظ مثل حظه من الثقافة . نعم لا مفر الآن من تثقيف المرأة بالطريقة التي تتسع في تثقيف الرجل، اذ أصبح من الجلى الآن ان الطريقة القديمة لتعليم الفتاة لم تنتج غير مخلوق ناقص من نواح كثيرة، بدليل هجران الرجل لمنزله في كثير من الاوقات، لأن شريكه حياته تعجز عن أن تمدد بالصح والمعونة، كما تعجز عن جعل دارها مهبأً للجمال والتسلية . أقول هذا القول وأشعر اننى لو قلته في بلد آخر متمدين غير مصر، لنظر الناس الى بمنتهى الدهشة، نظرهم الى من يخبرهم مثلاً ان النهار في الصيف اطول منه في الشتاء، ظاناً انه يذكر لهم امرأ طريفاً ... ولكن مصر التي سارت بخطى واسعة جداً في نواح كثيرة من نواحي التقدم والرقى ما زالت تتردد في قبول بعض المبادئ التي تعد أساس الرقى الصحيح وعنوان الحضارة، أعنى مساواة المرأة بالرجل في الحقوق وخصوصاً الثقافة .

وليس الغرض الرئيسى من تعليم الفتاة كما يظن الكثيرون تأهيلها لمزاولة مهنة من المهن كالحمامة أو الطب أو الهندسة، وإنما الأهم أن تصل الى حقها الطبيعي من اعتيادها التفكير المنظم

انجه خاطرى نحو هذا الموضوع بعد قراءة تليق « الرسالة » على خطاب الأنسة حياة التي تشكر من أن صاحب « الرسالة » قد حرم المرأة أن يكرن لثقافتها مظهر في مجله بجانب ثقافة الرجل، ورد صاحب الرسالة بأنه لم يرد أن يسمح للرجال بالتحدث عن شؤون النساء الخاصة . ولست افهم تماماً المقصود بشؤون النساء . أى امور الدار وتربية الاطفال ، أم المراد مساهمة المرء في ميدان التحرير وطبع الادب . بطايعها الانيق الخاص ، بصرف النظر عن الموضوعات النسوية البحتة ؟

وسواء أكان المقصود الأمر الاول ام الثانى ام الاثنين معاً فإن موضوع ثقافة المرأة العامة، هو ما ينبغي ان يبدأ يبحثه حتى ندين ما اذا كانت ثقافة المرأة تنحصر في دائرة خاصة ، وهل يحسن ان يكون لها تعليم وتهذيب يختلفان عن تعليم الرجل وتهذيبه .

وقد لا يكون من غير الملائم لفت الانظار الى هذا الموضوع في الوقت الذى تطور فيه تعليم الفتاة في العشر سنين الاخيرة تطوراً عظيماً، فبعد ان كان تعليمها قاصراً على بعض الفنون المنزلية ومبادئ القراءة والكتابة وقشور اللغات الأجنبية، أصبحت تتاقى من العلوم

الشيخ : ياسيدتي . مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجواري ، فلم لا تأمرين إحدى الجواري ان تقف مراعية للغلام حتى اذا مر اعلمتك فتخرجين اليه . ٤ .

الجارية : لا تغاظ ياشيخ . ١ .

الشيخ : (يفهم مرادها ويترك خجلاً من هفوته) انتهى المنظر . وكان في مقدورى ان اجعل منه فصلاً كبيراً . لكننى آثرت أن أبقيه على أصله . لأن المسألة عندى هل تظهر العناصر مع بقائها على شكلها . أو تنصرف بها ونستعملها كما نشاء ؟ سنتكلم في هذا اذا القينا في الاسبوع القادم

والدقة في التفاصيل، من تدريبها الطويل على استعمال الابرة والمنسج. والواقع أن مثل هذا التعليم يركسب المرأة المقدرة على مراعاة النسب ودقة الاسلوب ودقة الحساسية ، وكل ذلك يبدو واضحا الا أن ما يعترض عليه بشدة هو تضحية التعليم العام من اجل هذا التعليم المنزلي ، بحجة عدم استخدامه عمليا في وظيفتها الخاصة . انه لمنتهى الظلم الا ننظر الى المرأة كأنسان له حق كامل في الحرية والتعليم قبل أن ننظر اليها كأم أو دمية منزل ، بل ان منتهى الاستهانة بمواهب المرأة ان نكتفي منها بالقشور دون اللباب ، فلانحاسبها على عدم تعمقها في التلميم وإنما ننظر اليها نظرة كمنظرة اهل العصور الوسطى ، الذين كانوا لا يعلمون من المرأة اكثر من اتصافها بالعفة والصيانة . أما الصفات الأخرى كالذكاء وبعد النظر والشجاعة والصراحة فلم يكن عليها اقبال يذكر ؛ وإنما الاستكانة والخشوع كانا من أهم مميزات الكمال النسوي في تلك العصور . ولقد كانت «جرزilda الصبور» التي تحملت مرارة هجر الزوج وقسوته مثل الفضيلة والأومة الصالحة عندهم ... واخشى أن تكون (جرزilda) هذه لا تزال المثل الأعلى للزوجة عند الكثير من الرجال ...

إن التطورات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التي تبعد الشقة كل يوم بين العصور الوسطى والعصر الحديث ، تفرض علينا تغيير الآراء القديمة بالنسبة الى مركز المرأة وثقافتها . ففي حياتنا الحديثة المتشعبة المسالك الكثيرة المطالب ، المملوءة بالصراع والتنافس لم يبق مكان للمرأة الساذجة الضعيفة . وعلى ذلك كان من الخطأ الكبير أن تعتمد انقاص تثقيف المرأة عن تثقيف الرجل ، بل يجب أن يتناسب مقدار الثقافة مع وظيفة تلك التي تبرز العالم بيسارها اذا ما هزت المهدي يمينها ...

ولكن ماذا تكون النتيجة لو تعلمت المرأة كما يتلم الرجل ؟ هل تفقد مميزاتها الخاصة ولا يصبح هناك فرق بين ثقافتها وثقافته ؟ الواقع أن الثقافتين لا تختلفان الا شكلا فقط ، فيكون لثقافة المرأة وان اتحدت في الجوهر مع ثقافة الرجل طابعها الخاص ، إذ تتجلى فيها ما تمتاز به المرأة من حنان ورقة وتأثر بالعواطف والهام وحدة ذكاء وشدة حساسية .

ولما لنا أمل أن نرى أثراً واضحاً لتلك الثقافة النسوية « في الرسالة » التي تعتبر بحق رسالة الروح الحديثة المملوءة قوة وابتكاراً وتجديداً

اسماء فراهي

ولما كسأها خلق الاعتماد على النفس والاعتداد بالكرامة، وذلك لا ينشأ إلا عند تبين مبلغ المقدرة الشخصية والاستعداد . ولا ضير إذا هي لم تستخدم تلك المعلومات بالذات في حياتها المنزلية إذ الغرض الاساسي من التعليم كما يقول افلاطون في «الجمهورية» : توجيه الروح الى النور باعتماد التفكير المنتج وبالاتباع زماناً ما عن قيود الماديات . والواقع اننا نحط من شأن التعليم كثيراً إذا نظرنا اليه قبل كل شيء كوسيلة لتحقيق غرض مادي فالتعليم يجب أن يعتبر غرضاً في ذاته قبل أن ينظر اليه بذلك النظرة المادية سواء في حالة تعليم المرأة أو تعليم الرجل . سأل مرة استاذ في إحدى الجامعات الكبرى لميذه لماذا يتلم تعليمات جامعية ولم يختار التاريخ لفرع تخصصه . فكان جواب الطالب الصريح بما أهاج الاستاذ الذي لم ير مغضبا من قبل . وذلك انه أجاب انما يتلم ليحصل على درجة عالية تمكنه من الحصول على وظيفة تضمن له رغد العيش ... ثار الاستاذ وغضب لانه شعر أن تلميذه لا يتلم لوجه العلم ، وعلى ذلك فهو يفقد أهم شروط التهديب الصحيح . فبغير هذا الشرط لا يمكن أن يمتزج العلم بالفلس أو بعبارة أخرى لا يمكن أن تحدث الثقافة .

وعلى ذلك تكون المرأة امة ثقافة وأعمق تهديبا لو تعلمت تعليم الرجل لانها في الغالب تتعلم للدلم فيكون لانتاجها مظهر جذاب لانه بعيد عن المؤثرات المادية التي كثيراً ما تعترض تقدم الرجل . إلا أن ثقافة المرأة لا تكمل ولا يصح لها أثر محسوس إذا علمناها علوم الرجل بينما تحرم مما يستمتع به من حرية وإرادة مستقلة ، وتحاط بسياج من التقاليد العتيقة والرقابة الخائفة ، فهي في هذه الحال تقول بمرارة : من لي بعيش الأغباء ... كما أنه لا يمكن أن يصدر عنها ثقافة عالية ، إذ ينقصها بسبب قيودها الشخصية والابتكار والصراحة والنظرة العملية .. وهكذا تبدو ثقافتها مبتورة وان تناهت في الظرف وتألق فيها الذكاء الباهر .

وهنا قد يسأل سائل : وما مبلغ أثر التعليم المنزلي في ثقافة المرأة ؟ اني وإن كنت أريد تعليم المرأة تعليماً عالياً ابتغاء وجه العلم ، أو استعداداً للعمل فلست بمن ينكرون ما للتعليم المنزلي من أهمية في ثقافة المرأة . وهو لا ينفعها عملياً فحسب ، وإنما لهذا التعليم أثر جميل في انتاجها العقلي او مظهر ثقافتها . وقد كان يقال عن (جين اوستن) الكاتبة الانجليزية التي اشتهرت ببراعة الأسلوب وسمو الخيال ودقة التحليل انها انما اكتسبت الطلاوة في التعبير ،